مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

عَبْدُ الرَّحْمَن حَاشِي

1958 - 1917

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيد

عبد الرحمن حاشي

1958 - 1917

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2010

ر . د . م . ك : 978-9961-884-95-9

الإيداع القانوني : 2010-4216

المتحف الوطني للمجاهد

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 - 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

Email: mnm@museenat-moudjahid.dz : البريد الإلكتروني

آسْتَيْقَظَ الأسْتَاذُ "حَسَنٌ" عَلَى تَغْرِيدِ العَصَافِيرِ، فِي صَبَاحِ ذَلِكَ اليَوْمِ الجَمِيلِ مِنْ أيَّامِ فَصْلِ الرَّبِيعِ. وَبَعْدَ تَنَاوُلِ الفَطُورِ تَوَجَّهَ إلَى مَكَانِ عَمَلِهِ بِبَلْدَةِ "مَسْعَدٍ" التَّابِعَةِ لِوِلاَيَةِ الجَلْفَةِ. وَفِي طَرِيقِهِ إلَى العَمَلِ كَانَتْ أصْوَاتُ العَصَافِيرِ تُشَنِّفُ أذُنَيْهِ بِأصْوَاتِهَا العَذْبَةِ، وَهِيَ تَنْتَقِلُ بَيْنَ الأغْصَانِ المُورِقَةِ، أوْ تُحَلِّقُ فِي الجَوّ.

وَغَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ المُؤَسَّسَةِ الَّتِي كانَ يَعْمَلُ فِيهَا وَجَدَ مَجْمُوعَةً مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَعْبَثُونَ بِعُصْفُورٍ صَغِيرٍ قُيِّدَ مِنْ جَنَاحَيْهِ لِكَيْلاَ يَسْتَطِيعَ الطَّيَرَان.

أخَذَ العُصْفُورَ الجَمِيلَ مِنْهُم وَهُوَ يَضْطَرِبُ، فَنظر إلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: مَا أجْمَلَهُ! ثُمَّ فَكَّ قَيْدَهُ، وَتَرَكَهُ

يَطِيرُ فِي الجَوِّ بِحُرِّيَةٍ، فَحَلَّقَ فِي الجَوِّ، وَأَطْلَقَ زَقْزَقَةً جَمِيلَةً، عَبَّرَ بِهَا عَنْ فَرْحَتِهِ بِحَيَاةِ الحُرِّيَةِ، فَقَالَ المُعَلِّم لِتَلاَمِيذِهِ: لَوْ جَرَّبْتُمْ حَيَاةَ الأَسْرِ وَالعُبُودِيّة، لَعَرَفْتُمْ. صَمَتَ الأَطْفَالُ، وَأَطْرَقُوا. بَيْنَمَا وَاصَلَ المعلّمُ "حسنٌ" سَيْرَهُ إِلَى مَكَانِ عَمَلِه.

دَقَّ الجَرَسُ مُعْلِنًا بَدْءَ الدُّخُولِ إِلَى الْمُؤَسَّسَةِ، فَوَجَدَ التَّلاَمِيذُ مُعَلِّمَهُمْ"حَسَنًا" وَاقِفًا أَمَامَ حُجْرَةِ الدَّرْسِ، يَنْتَظِر وُصُولَهُمْ. فَلَمَّا اصْطَفُّوا جَمِيعًا، أَذِنَ لَهُم بِالدُّخُول.

وَقَبْلَ البَدْءِ فِي دَرْسِهِ الأَوَّلِ قَالَ: مَنْ مِنْكُم يَحْفَظُ نَشِيدَ "مَوْطِنِي" حِفْظًا جَيِّدًا؟

فَرَفَعَ مَجْمُوعَةٌ مِنْهُمْ أَيْدِيَهم. فَطَلَبَ مِنْهُم اعْتِلاَءَ الْمِصْطَبَةِ لِيُنْشِدُوه جَمَاعِيًّا، فَفَعَلُوا.

ارْتَفَعَتْ حَنَاجِرُهُمْ الرَّقِيقَةُ مُتَرَنِّمَةً بِكَلِمَاتِ النَّشِيدِ الرَّائِعَة:

مَوْطِنِي ❁ مَوْطِنِي

الجَلاَلُ، وَالجَمَالُ، وَالسَّنَاءُ، وَالبَهَاءُ فِي رُبَاكْ
الحَيَاةُ، وَالنَّجَاةُ، وَالهَنَاءُ، وَالرَّجَاءُ فِي هَوَاكْ

هَلْ أرَاكْ؟ هَلْ أراكْ؟

سَالِمًا مُنَعَّمًا ❁ وغَانِمًا مُكَرَّمًا
هَلْ أرَاكَ فِي عُلاَكَ ❁ تَبْلُغُ السِّمَاكْ؟

تَفَاعَلَ الأسْتَاذُ مَعَ كَلِمَاتِ النَّشِيدِ الرَّائِعَةِ، وَأصْوَاتِ الأطْفَالِ العَذْبَةِ، فَأَنْشَدَ مَعَهُمْ. وَبَعْدَ الانْتِهَاءِ مِنَ الإنْشَادِ سَكَتَ الجَمِيعُ هُنَيْهَةً، وَبَدَا لِلتَّلاَمِيذِ أَنَّ مُعَلِّمَهم قَد تَذَكَّرَ شَيْئًا، فَوَجَّهَ الجَمِيعُ أَنْظَارَهُمْ إِلَيْهِ، يَنْتَظِرُونَ مَا سَيَنْطِقُ بِهِ.

جَلَسَ عَلَى كُرسِيّه، وَقَالَ: رَحِمَكَ الله، يَا مُعَلِّمِي، كَمْ كُنْتَ تَتَفَاعَلُ مَعَ كَلِمَاتِ هَذَا النَّشِيدِ وَنَحْنُ نُرَدِّدُهَا بَيْنَ يَدَيْكَ فِي مَدْرَسَةِ "الإخْلاَص"! سَأَلَهُ التلْمِيذُ أَحْمَدُ عَنْ مُعَلِّمِهِ، وَمَدْرَسَةِ "الإخْلاَص"

فَقَالَ: مُعَلِّمِي قَضَى شَطْرًا كَبيرًا مِنْ عُمْرِهِ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ البَرَارِي وَالفَلَوَاتِ، يَنْشُدُ الحُرِّيَّةَ وَالاسْتِقْلاَلَ لِلْجَزَائِرِ، الَّتِي كَبَّلَهَا الاسْتِعْمَارُ الفَرَنْسِيُّ بِسَلاَسِلِ العُبُودِيَّةِ وَالقَهْرِ. فأصابَهُ أَكْثَرُ مِمَّا أَصابَ العُصْفُورَ الجَمِيلَ الّذي فَكَكْتُ قَيْدَهُ هَذَا اليَوْمَ؛ فَهُوَ قَدْ قُيِّدَ بِالسَّلاَسِلِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّصُهُ مِنْهَا، بَلْ ظَلَّ مُقَيَّدًا بِهَا حَتَّى أُعْدِمَ فِي أَيَّامِ العِيدِ. سَأَخَصِّصُ حِصَّةً لِلحَدِيثِ عَنْهُ فِي الأَيَّامِ المُقْبِلَةِ، أَمَّا الآنَ فَاسْتَعِدُّوا لِدَرْسٍ جَدِيدٍ.

وَبِمُنَاسَبَةِ الاحْتِفَالِ بِيَومِ المُعَلِّمِ (05 أكتوبر) قَدَّمَ التّلاَمِيذُ هَدِيَّةً لِمُعَلِّمِهِم "حَسَنَ"، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُحَدِّثَهُمْ عَنْ مُعَلِّمِهِ. فَشَكَرَهُمْ، وَقَالَ: مُعَلِّمِي الَّذِي حَبَّبَ إِلَيَّ نَشِيدَ "مَوْطِنِي" يُدْعَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَاشِي؛ وُلِدَ عَامَ 1917 فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ هذه البَلْدَةِ الْهَادِئَةِ. تَنْتَسِبُ عَائِلَتُهُ إِلَى قَبِيلَةِ أَوْلاَدِ يَحْيَى بْنِ سَالِمٍ؛ أَبُوهُ يُدْعَى عَبْدَ القَادِرِ بْنِ مُحَمَّد،

وأمُّهُ تُدْعَى فَاطِمَةَ بِنْتَ عُثْمَانَ حَاشِي. تُوفِّي أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَكَفَلَهُ جَدُّهُ، وَحَفَّظَهُ سُوَرًا مِنْ القُرْآنِ الكَرِيم، قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَه إِلَى زَاوِيَةِ "الهَامِل"، حَيْثُ أَتَمَّ حِفْظَ القرْآنِ الكَرِيم، وَلُقِّنَ مَبَادِئَ عُلُومِ الدِّينِ وَاللُّغَةِ العَرَبِيَّة، حَتَّى أَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ الفَتْوَى بِمَسْقَطِ رَأسِه. تَعَرَّفْتُ عَلَيْه بِمَدْرَسَةِ "الإِخْلاَص"، الَّتِي أَنْشَأَتْهَا جَمْعِيّةُ العُلَمَاءِ المسْلِمِينَ بِالجَلْفَة، حَيْثُ كَانَ يُعَلِّمُ الشَّبَابَ نَهَارًا، وَيَجْتَمِعُ بِالْكبارِ لَيْلاً.

سَمَاح: وَماذَا عَنْ تَعْلِيمِكُم النَّشِيدَ "مَوْطِنِي"؟

حسن: مُنْذُ كَانَ طَالِبًا فِي زَاوِيَةِ الهَامِل حَمَلَ بَيْنَ جَوَانِحِه هُمُومَ وَطَنِه المُحْتَلِّ، وَمُعَانَاةَ شَعْبِه تَحْتَ نِيرِ الاسْتِعْمَارِ الفَرَنْسِي. وَفِيهَا الْتَقَى بِعَدَدٍ مِنَ العُلَمَاءِ وَالشُيُوخِ، فازْدَادَتْ ثَقَافَتُهُ عُمْقًا وَغَزَارَةً، وَوَعْيُهُ السِّيَّاسِيُّ نُضْجًا وَاتِّسَاعا.

عَادَ مِنْ زَاوِيَة "الْهامِل" إِلَى مَدِينَةِ الجَلْفَةِ فِي

مَطْلَعِ الخَمْسِينيَّات،وبدَأَ يَهْتَمُّ بالسِّيَاسةِ، فَانْضَمَّ إِلَى حَرَكَةِ الانْتِصَارِ للحُريَّاتِ الدِّيمُقْرَاطِيّة المُنْبَثِقَةِ عَنْ حِزْبِ الشَّعْبِ الجَزَائِرِيّ الَّذِي ظَهَرَ عَام 1937، فَأَصْبَحَ عُضْوًا بَارِزًا فِيهَا، بِفَضْلِ دَوْرِهِ فِي تَنْظِيمِ خَلاَيَا الحِزْبِ وَتَعْلِيمِ الأَنَاشِيدِ الوَطَنِيَّةِ، وَبَثِّ الوَعْيِ السِيَّاسِيّ وَالثَّقَافِيّ في نُفوسِ الشّبابِ.

وَفِي عَام 1953 وَفَّقَهُ الله لأدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ، فَكَانَ خِلاَلَ رِحْلَةِ الحَجّ يَدْعُو لِلْجَزَائِرِ بِالنَّصْرِ، وَلِنَفْسِهِ بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ الله، فَحَقَّقَ الله لَهُ مَا أَرَادَ.

سميرة: هَلْ كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي التَّحْضِيرِ لِثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِ؟

الأستاذ حسن: نَعَمْ، شَارَكَ فِي جَمْعِ المَالِ وَالسِّلاَحِ وَاللِّبَاسِ، قَبْلَ انْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ، وَبَعْدَ انْدِلاَعِهَا؛ الأَمْرُ الَّذِي أَزْعَجَ الاسْتِعْمَارَ وَأَعْوَانَهُ الَّذِينَ وَشَوْا بِهِ، فَزُجَّ بِهِ فِي السِّجْنِ سَنَةَ 1955 بِمَدِينَةِ الأَغْوَاطِ. وَلَمَّا أُطْلِقَ

سَرَاحُهُ عَادَ إِلَى نَشَاطِهِ الْمُسَانِدِ لِلثَّوْرَةِ مِنْ جَدِيدٍ، فَأُعِيدَ إِلَى السِّجْنِ بِمَدِينَةِ الْجَلْفَةِ وَعَقِبَ إِطْلَاقِ سَرَاحِهِ مِنْ سِجْنِ الْجَلْفَةِ. حُوصِرَ مَنْزِلُهُ بِقُوَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ لِإِلْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ مِنْ جَدِيدٍ.

جمال: لِمَاذَا؟

حسن: بَعْدَ إِطْلَاقِ سَرَاحِهِ بِزَمَنٍ يَسِيرٍ عَشَرَتْ قُوَّاتُ الْعَدُوِّ عَلَى وَثَائِقَ خَطِيرَةٍ، تُثْبِتُ عَلَاقَتَهُ بِجَيْشِ التَّحْرِيرِ الْوَطَنِيِّ.

جمال: وَهَلْ تَمَّ إِلْقَاءُ الْقَبْضِ عَلَيْهِ؟

حسن: لا، فَهُوَ لَمَّا أَحَسَّ بِالْحِصَارِ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ، فَلَاحَقَتْهُ قُوَّاتُ الْعَدُوِّ، لَكِنَّهُ أَفْلَتَ مِنْهَا، وَتَسَلَّلَ إِلَى وَادٍ قَرِيبٍ مِنْ مَسْكَنِهِ الرِّيفِيِّ، فَنَجَا مِنَ الْعَدُوِّ.

فتيحة: مَاذَا فَعَلَ بَعْدَ نَجَاتِهِ مِنَ الْعَدُوِّ؟

حسن: التَحَقَ بِالْمُجَاهِدِينَ فِي جَبَلِ بُوكْحِيلِ فِي

مَارِس 1956، حَيْثُ وَجَدَ القَائِدَ زَيَّانَ عَاشُورْ الَّذِي أُعْجِبَ بِهِ، وقَرَّبَهُ مِنْهُ، وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ أَمَانَةَ الكِتَابَةِ العَامَّةِ لِجَيْشِ التَّحْرِيرِ بِتلك النَّاحية.

سماح: هَلْ شَارَكَ فِي العَمَلِيَّاتِ العَسْكَرِيَّةِ؟

حسن: نَعَمْ، خَاضَ إِلَى جَانِبِ زَيَّان عَاشُور عِدَّةَ مَعَارِكَ، وَشَارَكَ في نَصْبِ عِدَّةِ كَمائنَ لقُوّات الْعَدُوّ في كثيرٍ منَ الأَماكِنِ، بالإِضافَةِ إِلى الْمُشارَكَةِ في تَدْميرِ القِطَارِ، وَالسِّكَّةِ الحَدِيدِيَّةِ الرَّابِطَةِ بَيْنَ الجَلْفَةِ وَحَاسِي بَحْبَح. كَمَا حَضَرَ إِلَى جَانِبِ عُمَرَ إِدْرِيسَ مَعْرَكَةً وَقَعَتْ فِي جَبَلِ "قْعِيقِع" فِي صَائِفَةِ عَام 1956، الَّتِي أَلْحَقَ فِيهَا المُجَاهِدُونَ بِالعَدُوِّ خَسَائِرَ فَادِحَةً. وَبِمُنَاسَبَةِ إِحْيَاءِ الذِّكْرَى الثَّانِيَةِ لانْدِلاَعِ الثَّوْرَة، شَارَكَ فِي هُجُومٍ عَلَى مَدِينَةِ الجَلْفَة.

سميرة: مَا هِيَ المَسْؤُولِيّاتُ الَّتِي تَوَلاَّهَا أَثْنَاءَ الثَّوْرَة؟

حسن: بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زيَّان عَاشُور أصْبَحَ عَبْدُ الرّحمن النَّائبَ الأوَّلَ لِلقَائِد عُمَرَ إدريس، فَلَمَّا سَافَرَ هَذَا الأخيرُ إلَى المَغْرِبِ الأقْصَى فِي عَام 1957 في مَهَمَّةٍ كُلِّفَ بِها اسْتَخْلَفَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى قِيَادَةِ جَيْشِ التَّحْرِير، الّذي يَزِيدُ تَعْدَادُهُ عَلَى ألْفِ جُنْديٍّ؛ كانَ يَتَحَرَّكُ عَلَى مساحَةٍ تَمْتَدُّ مِن ضَوَاحِي بُوسْعَادة إلَى ضَوَاحي آفْلُو، وَمِنْ ضَوَاحِي عِينْ وَسَّارَة إلَى أقْصَى الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ صَحْرَاءِ مَسْعَد.

فِي هَذه الفَتْرَة تَزَايَدَ اهْتِمَامُ فَرَنْسَا بِالصَّحْرَاءِ، بَعْدَ أن اكْتَشفَتْ فِيهَا حُقُولُ البِتْرُولِ وَالغَازِ، فَشَرَعَتْ تُخَطِّطُ لِفَصْلِهَا عَنِ الشَّمَالِ، وَاسْتَدْرَجَتْ إلَيْهَا الخَائِنَ "بَلُّونِيس" لإفْشَالِ الثَّوْرَةِ فِي الجَنُوبِ الجَزَائِرِيّ الكَبِيرِ، وَسَاعَدَتْهُ عَلَى تَدْبِيرِ مُؤَامَرَةٍ ضِدَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَاشِي، فَاسْتَغَلَّ بَلُونِيس فُرْصَةَ غِيَابِ عُمَرَ إدْرِيس، وَأشَاعَ بَيْنَ جُنُودِهِ بِأَنَّهُ قُتِلَ بِتَوَاطُؤٍ مِنْ نَائِبِهِ عَبْدِ الرَّحْمَن حَاشِي، فَأُلْقِيَ القَبْضُ عَلَيْهِ، وَقُيِّدَ

بالسّلاسِل كَمَا فَعَلْتُم بِالعُصْفُورِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّصُهُ مِنْها.

جمال: كَيْفَ تَصَرَّفَ مَعَهُ بَلُّونِيس؟

حسن: سَلَّمَهُ إِلَى ضُبَّاط الجَيْشِ الفَرَنْسِيِّ بِالجَلْفَة، فَعَذَّبُوه عَذَابًا شَدِيدًا، وَنَكَّلُوا بِه شَرَّ تَنْكِيل، ثُمَّ نَقَلُوهُ مُقَيَّدًا إِلَى العَاصِمَة، لِيُسَلِّمُوه إِلَى السُّلُطَاتِ الاسْتِعْمَارِيَّة لِتُجْبِرَهُ عَلَى الخِيَانَة.

شعيب: مَاذَا طُلِبَ مِنْهُ؟

حسن: طُلِبَ مِنْهُ أَنْ يُخَاطِبَ سُكَّانَ الجَلْفَةِ عَبْرَ أَمْوَاجِ الإِذَاعَة لِيَقِفُوا إِلَى جَانِبِ الخَائِن "بَلُّونِيس"، وَلاَ يَثِقُوا فِي غَيْرِه. فَلَمّا رَفَضَ ذَلِكَ رَفْضًا قَاطِعًا، وَأَبَى أَنْ يَسِيرَ فِي رَكْبِ الخِيَانَة أُعِيدَ إِلَى الجَلْفَة، وَسُلِّم إِلَى عَدُوّه "بَلُّونِيس" فَأَعْدَمَهُ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ جوَان عَام 1958 فِي مُنَاسَبَةٍ دِينِيَّةٍ (عيد الفطر).

عنْدمَا رَأيْتُ العُصْفُورَ الجَميلَ يَتَخَبَّطُ بَيْنَ أيْديكُم، تَذَكَّرْتُ مُعَلِّمي عَبْدَ الرَّحْمَن، الَّذي وَقَفَ كَالطَّودِ الشَّامِخ فِي وَجْهِ أعْدَائِه، وَفَضَّلَ التَّعْذيبَ وَالتَّنْكيلَ، وَالتَّضْحيَةَ بِرُوحِه عَلَى خِيَانَةِ وَطَنِه، وَخِيَانَةِ الشُّهَدَاء الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا قَبْلَه.

رَحِمَ الله عَبْدَ الحَمِيد بْن بَادِيس الَّذِي قَالَ:

وَاقْلَعْ جُذُورَ الخَائِنِين ❁ فَمِنْهُمُ كُلُّ العَطَبْ

الْمَجْدُ وَالْخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ